هذه الدولة ليست بنت معيشة . فلماذا لا أحفظ خط الرجعة » . وتقدم للممارسة السياسية بعدها الرمزي التاريخي : « أدركت سركم ، يا استاذ ، فكل واحد منكم اذن لديه صندوق حديدي في طنطورته ، حيث أخفى والده كنزه الذهبي » .

ثلاثية اميل حبيبي ، هي أدب سياسي خاص ، يتجاوز السياسة الى الانسان ، يلتقطه في ملامحه الخاصة جدا ، ويقيم لهذه الملامح صورة مستقبلية. هذه الرواية مثال آخر على قدرة القوى الحية على اكتشاف نقطة ارتكازها والانطلاق منها الى أقصى الابعاد . انها اشارات من الومض في فضاء الثقافة ، تقدم أدبا للتحدي ، يحمل مستقبله الخاص ولغته الجديدة . فهو حين يجدد ويبحث ، يصبح ممارسة جماهيرية حقيقية ، تنطلق من الواقع الى ما يتجاوزه ، وتلتقط من الحكمة الشعبية ما تضيف عليها . فالعناصر الديمقراطية في الثقافة الشعبية ، هي سلاح في لحظات المواجهة التاريخية .

النقد والنقطة المحددة

بعد أن نشر ترجمته لرواية يائيل دايان « غبار » (الموقف الادبي ، أيار ، ١٩٧٤) ، يقدم هاني الراهب دراسة نقدية عن تطور الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية . والموضوع ، كاختيار ، يشكل امتدادا هاما للدراسات « الاسرائيلية » التي تحاول اكتشاف أواليات تحرك الواقع الاسرائيلي في فلسطين المحتلة ، وفي الفروع والمراكز الصهيونية المنتشرة في العالم . وأهمية هذا الكتاب ، هي في اضاءته جانبا هاما من المستوى الايديولوجي : الادب . فالصلة غير المباشرة التي للادب بالواقع ، تعطي دراسته بعدا غير وظيفي — بالمعنى المحدد — لانها تسمح بدراسة الايديولوجيا في احدى أكثر مناطقها تعقيدا ، حيث تبرز التناقضات الحقيقية التي يحاول المستوى السياسي حجبها دائما . ان النقطة الايديولوجية التي يتوقف عندها المؤلف في كتابه بأسره ، تسمح بأن تكون مؤشرا حقيقيا لتطور الايديولوجيا الصهيونية في بريطانية بشكل خاص . فالرواية حين تعكس الايديولوجيا لا تقوم بذلك بشكل مباشر ، انما تضعها داخل حقل علاقات اجتماعية ، تسمح باضاءة الكثير من جوانبها الغامضة . هنا ينتقل النقد من نقد ايديولوجي الى نقد سوسيولوجي ، أو يمزج بينهما ، وهذا ما حاوله هاني الراهب في ملاحقته التفصيلية والمتمهلة لموضوعة واحدة تخترق فترة زمنية طويلة نسبيا .

من الوصف الى التحليل : يقدم هذا الكتاب لوحة بيانية شاملة للرواية باللغة الانكليزية في تعاملها مع نقطة ايديولوجية محددة. **الشخصية الصهيونية.** فيبدأ من البدايات الحديثة، ١٨١٧، التي حاولت قلب معادلة شايلوك الشكسبيرية، ليصل الى شخصيات اسرائيلية معاصرة كما تقدمها روايات يائيل دايان. ان تعامل مراجعة نقدية ، مع نص بهذه السمة ، يبقى ناقصا . لذلك سنحاول ان نقدم رؤوس أقلام تصلح كتمهيد لقراءة هذا الكتاب ، مع ابداء بعض الملاحظات المنهجية .

يقسم الكتاب الى ثمانية فصول ، تبدأ بمقدمة نظرية تحاول تحليل الظاهرة الصهيونية بشكل سريع جدا ، لكنه يلتقط مفاصلها الاساسية ، باعتبارها حركة استعمارية ، وهي « طلئة أوروبية أكثر منها يهودية » . والواقع ان الكتاب بأسره يحاول ان يبرهن على هذه النقطة الاساسية . فالصهيونية هي حركة استعمارية أوروبية تلبس ثيابا ثيوقراطية .

يشير الفصل الثاني : **اليهودي الطيب** ، الى بدايات تحول الوعي الايديولوجي عن الثابت الشايلوكي ، الى محاولة اكتشاف « اليهودي الطيب » ويظهر هذا في روايتين : الاولى لماريا ادجورث **هارنغتون** (١٨١٧) والثانية هي رواية

---

* هاني الراهب: الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية . مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، ووزارة التعليم العالي في سوريا، تموز ١٩٧٤ .